المثل الأعلى

إعداد

آلاء طعمة

كربلاء المقدسة

FM-95.3MHZ

النجف الأشرف

FM-103.9MHZ

ذي قار

FM-95.3MHZ

ميسان

FM-98.3MHZ

radio@alkafeel.net

الكتاب: المثل الأعلى.

الإعداد: آلاء طعمة.

المونتاج الإذاعي: فادية شوقي.

الناشر: قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة/ شعبة إذاعة الكفيل.

التصميم: علاء سعيد الأسدي.

الإخراج الطباعي: شيماء سامي.

التدقيق اللغوي: عمار كريم السلامي.

المطبعة: مطبعة دار الكفيل.

الطبعة: الأولى.

عدد النسخ: ٢٠٠٠

جمادي الثاني ١٤٣٦هـ - آذار ٢٠١٥م

المقدِّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين وسلامٌ على أصحابه البررة المنتجبين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

أما بعد: لا يخفى أنَّنا مازلنا بحاجة إلى تكريس الجهود ومضاعفتها نحو نشر المفاهيم الأخلاقية والتربوية وترسيخ المفاهيم الإيمانية التي تضمنتها رسالة الإسلام لبناء الفرد بناءً فعلياً حقيقياً؛ ليكون انطلاقة سليمة لبناء ذلك الكيان الإنساني الشامخ الذي ماهو إلا اللبنة الأُولى لبناء مجتمعٍ إسلامي راسخ البنيان، عتيد المراسي، لذا ومساهمةً في ذلك جاءت برامج إذاعة الكفيل صوت المرأة المسلمة كسبيل للوصول إلى ذلك، وقد أخذت هذه البرامج طريقها إلى أسماع الكثيرين عبر أثيرها وعبر شبكة الإنترنت العالمية صوتاً، ولأجل تعميم الفائدة إرتأت الإذاعة إيصال برامجها كتابياً إلى أيدي الذين لم يسعفهم الوقت لسماعها وذلك بطباعة بعض من برامجها وإصدارها كراريس.

الحلقة الأولى

دور القدوة في حياتنا

دور القدوة في حياتنا

يأتي الحديث عن القدوة ومواصفاتها ودورها وأهميتها في إطار البحث عن واحدة من أبرز احتياجات الإنسان على مستوى الفرد والمجتمع، مع الأخذ بعين الاعتبار أنَّ القدوة هي الصورة الأولى والكاملة التي تنطبع أمام أعين البشر، فيحاول كل شخص بما لديه من استعداد وقدرة الوصول إلى ذاك المقام العالي الذي يشاهده كمثال ونموذج وأسوة.

يبحث الإنسان عن القدوة عندما يشعر بأنَّ في داخله شيئاً نحو إكمال شخصيته، وقد تكون القدوة شخصاً ما، وقد تكون فكرة معينة وقد تكون عقيدة، بغض النظر عما إذا كان هذا الشخص وهذه الفكرة والعقيدة أمراً مطلوباً أو غير مطلوب، فإن كانت القدوة تجسد المثل العليا، وتحمل من الصفات الأخلاقية والإنسانية كان المقتدي يتوق إلى الرفعة والرقي على المستوى الأخلاقي والإنساني، وإن كانت مثلاً أعلى من جهة السلطة والرئاسة والجاه، كان المقتدي يتوق إلى تلك الجوانب أيضاً، لذلك يمكن القول أنَّ القدوة تتطور وتتحول عند الإنسان بناءً على البيئة المحيطة التي تسببت في وجود مجموعة من القيم التي يرنو الإنسان للوصول إليها.

تتشكل القدوة في أجواء القيم مهما كان نوع هذه القيم، وتساهم في موضوع التربية والوصول إلى الكمال، وتساعد في عملية إقناع الآخرين بالأفكار والآراء وما شابه ذلك، وبحث القدوة بحث واسع ذو جوانب متعددة، يمكن أن يطال دورها وأهميتها وخصائصها، وما لها من امتداد في الفكر الديني، وقد يجري البحث عنها بما لها من آثار على مستوى ثقافة التغرب، والابتعاد عن القيم وبناء الشخصية الإنسانية.

لم تترك القدوة الإنسان وحيداً، فما أن ينفتح وعيه منذ سنواته الأولى حتى يجد أمامه قدوة وهذه القدوة تتمثل بالوالدين، فينشد إليها ويتأثر بها، ويعتقد أنَّها أفضل ما يراه وما يبحث عنه، ومن خلال هذه القدوة تتشكل الصور الأولى للطفل عن العالم، فيراه هانئاً منسجماً أو قاسياً مضطرباً، لذا توافقت كل الدراسات التربوية والنفسية على أهمية وجود الأسرة بالنسبة إلى الإنسان، في حين تقدم الإسلام خطوة إضافية في هذا المجال عندما أكد على ربط وجود هذه الأسرة بشروط اختيار الزوجين، كما في الحديث النبوي الشريف قولهﷺ: «**تخيَّروا لنطفكم...**»[1]، «**وإذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه**»[2].

---

(١) ميزان الحكمة: ٤/ ١٩٠.

(٢) المصدر نفسه: ٨/ ٧٤، بحار الأنوار: ٨٨/ ٢٦٤.

ولا يختلف الباحثون حول أهمية الأسرة، وأهمية ما يجري فيها وتأثيراته القوية على شخصية الإنسان اللاحقة، لكن قدوة الوالدين المهمة جداً بالنسبة للطفل لا تبقى غالباً على حالها في مراحل العمر اللاحقة، فمن المؤكد أنَّ الإنسان عندما يصبح أكبر سناً وأكثر تجربة وأوسع اطلاعاً ستتغير نظرته إلى القدوة، وإلى شروطها ومواصفاتها التي كان يتطلع إليها، فالطفل الذي يتخذ والديه أول قدوة له في سنوات عمره الأولى سينتقل لاحقاً إلى قدوة أخرى قد تكون معلم المدرسة أو رفيق الصف، أو أي شخصية رياضية أو سياسية وفقاً للبيئة التي سيعيش فيها أو يتأثر بها، كما أنَّ هذا الاختيار قد يتغير أيضاً في مراحل النضج الأخرى، بحيث تصبح القدوة فكرة أو عقيدة، أو حزباً ينتمي إليه الإنسان، ما يزيد من أهمية القدوة ومن ضرورة متابعة تحولاتها وتأثيراتها المختلفة على الإنسان في مراحل عمره المختلفة، وفي أدواره المتعددة في المجتمع مع الالتفات إلى أهمية هذه القدوة وإلى أهمية تأثيراتها بحسب كل مرحلة من مراحل العمر، ولذا لا يمكن أن يقتصر الاهتمام بالقدوة كما يحصل عادة على البعد التربوي فقط على الرغم من أهمية هذا البعد خصوصاً في طفولة الإنسان، بل يفترض أن يكون هذا الاهتمام أكثر اتساعاً وشمولاً من خلال الدراسات الدينية والسياسية

والاجتماعية والفلسفية والثقافية والانتروبولوجية التي يمكن أن تقدم زوايا نظر مختلفة ومهمة ومتعددة لدور القدوة وتأثيراتها على مستوى بناء الفرد التربوي، وعلى مستوى تشكيل اتجاهاته الفكرية والاجتماعية والسياسية وصولاً إلى أدوارها المحتملة على بنية المجتمع وتأثيرها على مصادر قوته وتماسكه.

المراهقة والقدوة

يختلف ما اصطلح على تسميته مرحلة المراهقة عما سبقها من مراحل؛ لأسباب معروفة في الأدبيات التربوية والنفسية، خاصة ما يتعلق بالأدوار الجديدة التي يتوقعها المجتمع من المراهق والتي يتوقعها المراهق من نفسه، إنَّ المهم هنا هو كيف سيتعامل المجتمع مع هذه المرحلة، وكيف سيقبل التغيرات التي يمر بها الإنسان في هذه المرحلة، لأنَّنا نعتقد أنَّ المشكلة ليست في التغيرات الفيزيولوجية نفسها، بل في استعداد المجتمع وفي عدم استعداده لتوفير الفرص لدمج المراهق من دون أي تأخير أو تردد.

عندما يخرج المراهق من نطاق العائلة إلى نطاق المجتمع يجد أمامه خيارات كثيرة، فالقدوة التربوية تتحول تدريجياً من الوالدين

إلى شخصيات أخرى، وقد يتساءل بعضنا: لماذا يختار المراهق قدوة له، شخصاً لم يلتق به، ولم يسبق أن تحدث إليه مباشرة؟ ولماذا يتعلق بشخص موجود في بلد آخر؟ فقد يذهب إلى قدوة سياسية أو دينية أو فنية، أو رياضية، ما يجعل القول بمواصفات نهائية للقدوة في مرحلة المراهقة أمراً صعباً، فقد يعد بعضهم أنَّ الإسلام هو القدوة التي يبحث عنها، فيحاول أن يقتدي بالرسولﷺ وبسواه من الأئمة والمصلحين، وقد يعتبر آخر أنَّ فكرة العدالة أو مواجهة الظلم أو الاحتلال التي تنادي بها حركات سياسية أو اجتماعية هي القدوة، فيقلد رموز وقادة تلك الحركات.

ومما يمكن ملاحظته أيضاً أنَّ الشخص نفسه قد يكون قدوة في جوانب مختلفة من شخصيته، فهذا يتخذه قدوة بسبب وسامته، وآخر لشجاعته، وثالث لدماثة أخلاقه، أو لأفكاره ونظرياته، وهكذا، ونادراً ما تجتمع مواصفات عدة في شخص واحد، وهو ما يطلق عليه «الكاريزما» التي تلخص الحضور الطاغي والمحبب لهذه الشخصية في جوانبها كافة، أما الجانب الآخر لهذه المسألة الذي لا يقل خطورة وأهمية هو ما نسميه «القداسة» التي تسبغ على القدوة التي يتخذها الإنسان نموذجاً له، بحيث يفقد في هذه الحالة أي حس نقدي تجاهها،

بحيث لا يرى لتلك القدوة أي خطأ، ولا يرى في سلوكها أي نقص.

القدوة السلبية

تتشكل هذه القدوة غالباً من خلال البيئة التي تحيط بالشاب، ومن خلال القيم التي ترتبط بهذه البيئة، فمن المعلوم إنَّ كل بيئة مهما كان نوعها سياسية أو دينية أو فنية أو رياضية تنتج غالباً قيماً خاصة بها، وتتحول هذه القيم إلى قدوة يلتزم بها أعضاء هذه البيئة أو المؤيدين لها.

بهذا المعنى قد يكون للمراهق أكثر من قدوة في وقت واحد، ومن الملاحظ أيضاً في مجال الدراسات ذات الصلة بالمراهقين والشباب في هذه المرحلة تأثرهم برفاقهم وبمن حولهم، لذا قد يلتحق المراهق بنموذج سلبي في السلوك وفي التفكير وفي العلاقات مع نفسه ومع الآخرين، ومن المؤكد أنَّ أغلب حالات الانحراف مثل الإدمان والجنوح وحتى السرقة وسواها لا تتم إلا في بيئة جماعية، بمعنى أنَّ الانحراف أو تعاطي المخدرات لا يمكن تفسيره من خلال البعد الفردي فقط، بل من خلال مشكلة نفسية أو عائلية، وينبغي الالتفات أيضاً إلى بيئة الرفاق التي يمضي معها الشاب أوقات فراغه وتسليته بعيداً عن رقابة الأهل أو مؤسسات المجتمع الأخرى، فالانحراف هو حالة جماعية، وهو نتيجة

لقدوة سلبية تشكلت في بيئة جماعية من الرفاق الذين يشجعون على تعاطي المخدرات أو على التدخين أو على السهر بعيداً عن المنزل، أو على ترك المدرسة والذهاب معاً إلى أماكن اللهو أو التسلية وسواها، فالقدوة السلبية هي نتاج بيئة جماعية، وهذا يفترض في كثير من الأحيان أن نبدأ بتغيير هذه البيئة، وتفكيك القيم والقدوة المرتبطة بها قبل تغيير سلوك الأفراد أنفسهم.

وعندما يكون البيت قدوة سلبية كإن يكون فيه مشاكل بين الزوجين، أو اضطراب في العلاقات العائلية، سيهرب المراهق إلى قدوة أخرى قد تكون غالباً قدوة سلبية؛ لأنَّها ستكون مجرد بديل من دون التدقيق في محتوى هذا البديل إذا كان إيجابياً أو سلبياً، كما أنَّ الشاب أو المراهق قد لا يملك القدرة أو حتى الاستعداد للتمييز بين السلبي والإيجابي في القدوة إذا كان الهدف هو الهرب من قدوة عائلية لذا هو يحتاج دائماً إلى الاهتمام والمتابعة والرعاية.

الحلقة الثانية

القدوة الناعمة

القدوة الناعمة

والمقصود بها القدوة التي تتسلل إلينا تدريجياً ومن دون أي ضجيج من خلال وسائل الإعلام التي لا تتوقف عن البث طوال ساعات اليوم وطوال أيام السنة.

هذه القضية من أهم وأصعب القضايا التي تؤثر بشكل كبير على القدوة التي تقدم إلينا، أولاً لأنَّها لا تتوجه إلى مرحلة عمرية محددة بل إلى كل مراحل عمر الإنسان، وثانياً لأنَّها لا تقدم القدوة غالباً بشكل مباشر، بل تتشكل عناصر هذه القدوة من خلال التكرار والإيحاءات والصور التي تتحول بمرور الوقت إلى قدوة، ومصدر هذه الخطورة هو في ما يمكن أن نسميه التسلل الهادئ والناعم للأفكار وللنماذج التي تتحول بمرور الوقت ومن خلال التكرار إلى قيم جديدة نقتدي بها، فتغير من طريقة تفكيرنا بل من طريقة تصرفنا في الحياة، بحيث لا ننتبه في معظم الأحيان إلى أنَّ مواقفنا تجاه هذه القضية أو تلك قد تغيرت أو أنَّ إعجابنا بهذه الفكرة قد تبدل إلى فكرة أخرى جديدة لم نكن نقبل بها سابقاً، فهذه الوسائل تقدم نماذج تصبح قدوة تكون غالباً قدوة سلبية، لأنَّ هذه الوسائل تفرض علينا طوال ساعات طويلة في اليوم، لذا علينا أن نحد من تأثير هذه الوسائل وأن نختار ما نرى، لا أن نكتفي بتلقي

كل ما يعرض علينا من دون توقف.

ثمة أمثلة كثيرة تفسر لنا هذا التشكل الناعم للقدوة على مستوى السلوك والأفكار، فالصور التي لا تتوقف معظم الفضائيات ومواقع الإنترنت عن تقديمها عن الشباب «من الذكور والإناث» الذين يعيش أحدهم منفرداً بعيداً من أهله، ومن دون أي رقابة اجتماعية، وينتقل من هذا العمل إلى ذاك، ومن هذه العلاقة إلى تلك، ولا يكترث للروابط الأسرية، ولا العادات أو التقاليد، سوف يشكل هذا النموذج أو الفكرة قدوة لشباب وشابات العالم الآخرين، خصوصاً في المجتمعات الإسلامية، حيث يشاهدون هذا النمط من الحياة ويقارنون بينه وبين حياتهم من ناحية الضوابط الأخلاقية والدينية والسلوكية المختلفة، بحيث يتوق الشاب أو الفتاة إلى تقليد ذلك النموذج ويطمح إلى الاقتداء بما يراه وهذا الأمر هو أحد أهم أسباب تلك الرغبة الجامحة لدى الكثير من الشباب في البلدان الإسلامية لمغادرة بلدانهم إلى الغرب؛ ظناً منهم بأنَّ ما يرونه في السينما وفي الفضائيات هو حقيقة سهلة يمكن الحصول عليها بمجرد أن تطأ أقدامهم تلك البلاد، وهكذا يتحول الغرب إلى قدوة، يعبر الشباب عن التعلق بها من خلال الرغبة في الهجرة التي تزداد نسبة ارتفاعها يوماً بعد آخر.

إنَّ الاستهلاك أيتها الفضليات هو نموذج آخر للقدوة الناعمة وهو الذي يتحول إلى طريقة في التفكير وإلى سلوك يقود تصرفاتنا، والاستهلاك هو الرغبة في الشراء وفي اقتناء الأشياء المختلفة حتى لو لم نكن بحاجة إليها، ونقيض الاستهلاك بهذا المعنى هو أن نشتري ما نحتاج، أي أنَّ المقارنة بين الرغبة وبين الحاجة هي أنَّ الرغبة عادة لا حدود لها، أما الحاجة فمحدودة، والاستهلاك يحرض الرغبة التي لا حدود لها بحيث يندفع الإنسان إلى الاقتناء والى الشراء حتى لو لم يكن بحاجة إلى ما سيشتريه، هكذا تنشأ عادات وقيم جديدة تصبح بمرور الوقت والتكرار بمثابة قدوة في التعامل مع الذات ومع الآخرين، ومن هنا تنشأ قيم التباهي، وقيم التملك بحيث تصبح القدوة هنا هي النموذج الذي ينسجم مع تلك القيم، وهذا بدوره يفترض المزيد من الشراء ومن الاستهلاك طالما أنَّ الأسواق تضخ من دون السلع التي يرتبط الحصول عليها بالمكانة الاجتماعية، فعندما يتحول الاستهلاك إلى سلوك أو عادة وإلى وسيلة للترقي الاجتماعي يصبح قدوة ناعمة تمارس نفوذها من دون أي صخب أو ضجيج، وربما يصعب أن نفصل بشكل واضح بين القدوة التي نريد أن يقتدي بها الإنسان في أي مرحلة من مراحل العمر وبين المثال الأعلى الذي يتخذه قدوة له ويحاول أن يفعل

مثله ويقتدي به ويسير على هدي سلوكه وأفكاره، والمثال الأعلى هو غالباً شخص محدد، ولكنه قد يكون كما أشرنا فكرة في الوقت نفسه.

بمعنى أنَّ المثال الأعلى الذي يفترض الاقتداء به قد يكون نمط حياة أو نموذج للعيش أو طريقة في السلوك أو في الاستهلاك أو حتى طريقة في التفكير وفي التعامل مع الآخرين.

الحلقة الثالثة

أهمية القدوة

أهمية القدوة

إذا كانت الأديان السماوية قد أعطت أهمية كبيرة وواضحة للقدوة وبالأخص القدوة الحسنة؛ لما تمثله هذه القدوة على مستوى تقريب الأفراد من الغاية أو الهدف وهو القرب من الله تعالى، فإنَّ للقدوة أهمية واضحة على مستوى الحركة الاجتماعية والتربوية؛ لأنَّ الوصول إلى مرحلة من مراحل التكامل البشري حيث ينتفي الشر ويسود العدل والوئام، وبالتالي بناء مجتمع سليم يقوم على أساس المبادئ والقيم والأفكار التي من شأنها السمو إلى أعلى المستويات، كل ذلك يقتضي وجود قدوة يتبعها الأفراد وتشكل نموذجاً فريداً وهاماً على مستوى المجموع، وذلك بغض النظر عما إذا كانت القدوة تتمثل في شخص بشري تشكل سلوكياته وأفكاره وممارساته وحركة حياته والقيم التي يتبعها قدوة للآخرين؛ أو أن تتجلى القدوة في عقيدة أو فكر أو نموذج أو مثال معين.

وتبرز أهمية القدوة في عدة جوانب تتلخص في أنَّ القدوة واحدة من أهم وأبرز أساليب التربية، وإذا كان المقصود في الاجتماع البشري الوصول إلى مرحلة إنتاج فرد سليم ومفيد للمجتمع، فإنَّ ذلك لن يتحقق من دون العمل على جعل الأفراد سالمين مفيدين، فتكون

القدوة أهم وسيلة لتحقيق ذلك ولو عدنا إلى التأريخ البشري، وتأريخ الأديان لوجدنا أنَّ القدوة قد لعبت هذا الدور التربوي؛ إذ أنَّها تفيد في نقل الأفكار والقيم والسلوكيات الصحيحة إلى الآخرين، وقد تشير هذه المسألة إلى عدم جدوائية التلقين الذي يتبعه بعضهم في العملية التربوية، فقد لا يقتنع ولا يؤمن الفرد إذا وجد أنَّ الملقِّن لا يؤمن ولا يعتقد ولا يوقن، أما عندما نقدم القدوة كنموذج أساسي للتربية فإنَّ التأثير في النفوس سيكون أقوى لا محالة، وفي هذا الإطار يفيد التذكير بما توجه به الله تعالى إلى نبيهﷺ: ﴿**أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ**﴾[1]، على أساس إنَّ المهتدين من المتقدمين على رسول اللهﷺ يحملون من القيم والسلوكيات والعقائد السوية ما يجعل ما يحملون محل تقدير وأهمية على مستوى الواقع؛ لذلك طلب من الرسولﷺ الاقتداء بهم والسير في نفس الطريق السوي والسليم الذي يعبر عن حقيقة رسالة الله تعالى والتي جوهرها الهداية للمجتمعات البشرية، والقدوة بهذا المعنى وهذه الصورة حالة ضرورية لجميع الأفراد بغض النظر عن الكبير والصغير، والمتعلم والأمي، بل هي ضرورية للجميع، فإنَّ الأشخاص يميلون

(١) الأنعام: ٩٠.

ويرغبون في أن تكون حياتهم مجبولة بالبطولات والكمالات، ولا يمكن لأي شيء أن يترك آثاره على الشخص كما يتركه العمل، فالبشرية تبتعد بطبيعتها عن المجردات والأساطير والأمور التي لا أثر لها على أرض الواقع، وتميل نحو الكمالات والبطولات الواقعية؛ لأنَّها تحاكي الحقيقة التي تعيش بينها، من هنا يمكن الحديث عن القدوة على أنَّها مدرسة تقدم للأشخاص والأفراد نماذج واقعية عن تلك الكمالات والبطولات، وما يريد أن يصل إليه الإنسان، فيتقدم الشخص نحو القدوة ويتأثر بها، وينهل من مضمونها عله يتمكن بذلك من الوصول إلى ما يصبو إليه، وإذا كانت القدوة تلعب هذا الدور فإنَّها ستكون مطلوبة بشكل أكبر عند الأفراد إذا علموا وجود كمالات حقيقية أكبر وأرفع وأهم من التي اعتادوا عليها في حياتهم المادية، وبعبارة أخرى إذا أدرك الشخص وجود كمال أكبر من الكمال المادي وأدرك حقيقة وجوده في الشخص الفلاني والمكان الفلاني والعقيدة الفلانية، فإنَّه يسعى نحو ذلك بهدف تحصيل ذلك الكمال والوصول إليه.

ومن هنا نقول أنَّ الدين قدم نظاماً متكاملاً يهدف قبل أي شيء إلى نقل الإنسان نحو الكمال اللامتناهي، كما قدم الدين أيضاً النماذج الحقيقية التي يتجلى فيها ذاك النظام، فعمل هؤلاء الأشخاص بكل

وجودهم على تكريس حقيقة الدين، فكانوا القدوة وكانت أفكارهم قدوة أيضاً لذلك، فإنَّ من يتذوق طعم تلك الكمالات لا بد أن يسعى نحوها، وتبرز أهمية القدوة بالإضافة إلى ما تقدم على مستوى إقناع الآخرين بإمكانية الوصول إلى الفضائل، فإذا سلمنا بأنَّ الشخص الفلاني يشكل قدوة للآخرين لما يتمتع به من فضائل وأخلاقيات وصفات حسنة، فإنَّ قبول الآخرين لوجود الفضائل وتصديقهم بإمكانية الوصول إليها والتحلي بها موقوف على وجودها في شخص معين، وهذا يعني القبول بواقعية تلك المفاهيم التي يظنها بعضهم من نسج الخيال، أو من مكان بعيد عن الواقع.

من جهة أخرى قد لا يترك الكلام أثره على الشخص مهما طلب من الناس التحلي بالفضائل والإقبال عليها، ولعل السبب في ذلك يعود إلى صعوبة التصديق بها والاقتناع بجدواها، إلا أنَّ العمل بها ووجودها في شخص القدوة يدفع الإنسان للرضوخ لها بل فهمها والعمل بها.

ولعل هذا الأمر من خصائص السلوك البشري الذي لا يقبل على أي عادة أو فكرة إلا بعد أن يدرك ويفهم أنَّها حقيقة واضحة وواقعية.

الحلقة الرابعة

أركان القدوة

أركان القدوة

لا تتحقق القدوة في الشخص إلا إذا اجتمعت لديه مجموعة من الأركان والخصائص التي تجعله قدوة في نظر الآخرين، ومن جملة ذلك ما يأتي:-

١- الصلاح:-

وهي حالة أو هيئة تظهر عند الشخص وتتكون نتيجة عوامل متعددة من أبرزها «عند أصحاب الأديان»: الإيمان، وحسن الاعتقاد بالدين الذي ينتسب إليه والفضائل التي ينادي بها، وكذلك لا بد من توفر العبادة وهي العمل بأحكام ذاك الدين والشرائع التي سنت فيه، وبالتالي الابتعاد عن كل ما هو مخالف لهذه الشريعة، ثم إنَّ الصلاح يحصل من خلال الإخلاص، والذي هو الأساس الهام للصلاح؛ لأنَّه هو العنصر الذي يظهر ويتجلى في حركات وسكنات المقتدي، فبواسطته يبتعد المقتدي عن الأهواء النفسانية والأغراض الدنيوية قولاً وعملاً، وبه تتجلى حقيقة العبادة.

٢- حسن الخلق:-

لعل حسن الخلق عامل أساسي في شخصية القدوة، يظهر عند

تعامل المقتدى مع الناس، ومن هنا جاء قول الرسولﷺ: «**إنَّما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»[١]؛ للدلالة على جوانب القدوة في شخصيته، إذ يبين ما تحتويه وما تختزنه هذه الشخصية من مكارم وفضائل، وليبين أهداف البعثة والتي هي إيصال الأخلاق إلى أوجها، مما يجعل هذه الشخصيات محط أنظار الغير، ومؤثرة في حركتها وحياتها الاجتماعية، من جهة أخرى فقد تحدث الإسلام وحدد بعض المفاهيم التي تندرج في إطار تحسين الأخلاق في التعامل مع الآخرين، ومن أبرز ما جاء به: «الصدق، الصبر، الرحمة، الرأفة، الشفقة، التواضع، وغيرها».

٣- موافقة القول للعمل:-

إنَّ من المقتضيات الأساسية لصيرورة الشخص قدوة أن يشاهده المقتدون وقد توافق قوله مع عمله؛ لأنَّ الناس تدرك حقيقة المفاهيم والفضائل إذا تجلت أفعالاً.

وقد تحدث القرآن الكريم حول أهمية الموافقة بين القول والعمل موجهاً خطابه إلى المؤمنين: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ**﴾[٢].

---

(١) بحار الأنوار: ١٦/ ٢١٠، ميزان الحكمة: ٣/ ١٠٨.

(٢) الصف: ٢- ٣.

وقد توجه النبي شعيب عليه السلام إلى قومه كما يحدثنا القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾[1]، وهذا خير دليل على موافقة النبي شعيب عليه السلام بين القول والعمل.

٤- الابتعاد عن مواطن الشبهات:-

قد يكون الشخص صالحاً، حسن الأخلاق، عاملاً بما يقول، ولكنه لا يؤثر في الآخرين؛ لكثرة اقترابه من مواطن يشتبه بها، بحيث لا يمكن للآخرين التمييز فيها بين الحق والباطل، وبين نسبة الفعل الباطل إلى فلان أو إلى فلان، فقد ينسبون ذلك إلى الإنسان الصالح جهلاً، وهنا تترتب على الإنسان مسؤولية الابتعاد عن مواطن الشبهات، فكما ذكر أنَّ من وضع نفسه في مواطن الشبهة، فلا يلومنَّ من أساء الظن به، فالمسؤولية هنا مزدوجة، حيث ينبغي على المؤمن الابتعاد عن مواطن الشبهة، وعليه أيضاً الابتعاد عن سوء الظن، والتسرع في نسبة الأحكام.

٥- عدم التكلف:-

من جملة الأمور التي يمكن الحديث عنها كأساس وأصل للقدوة أن لا يتكلف الشخص ذلك، فلا يفعل ليرى الناس ولا يماري في عمله، بل القدوة هو الذي يؤمن ويعتقد ويعمل بذلك من دون تكلف

(١) هود: ٨٨.

ولا مجاراة ولا طلب من أحد، فهو شخص يعيش ضمن إطار قناعاته، فيتصرف على أساس ذلك في السر والعلن، ولعل هذا الأمر موقوف وإلى درجة كبيرة على مقدار تربية الشخص لنفسه وجعلها تتحرك في إطار الكمالات، وذلك في تفاصيل الحياة الاجتماعية كافة.

فإذا كان للقدوة ذلك الدور الهام والضروري، فإنَّ الأهمية والضرورة تبرز عند الحديث عن دين إلهي يحمل في طياته القيم الإنسانية الراقية التي ترتفع بالإنسان إلى أعلى مستويات الصفاء والطهارة والرقي، فتجعله في مصاف الأخيار والصالحين والمفيدين على مستوى الاجتماع البشري، ولكن وقبل كل شيء وكما نلاحظ من بعض الروايات الشريفة الواردة عن الأئمة المعصومين عليهم السلام فإنَّهم كانوا يدعون بأتباعهم ليجسدوا الدين والدعوة الإلهية بأعمالهم وأفعالهم قبل الأقوال، وهذا يعني أنَّ دين الله تعالى يتجسد بشكله الواقعي إذا كان مدَّعو الأديان يجسدون حقيقة الدين بشكل عملي، ومن هنا ينبغي القول أنَّ نشر دين الله تعالى لن يتحقق بشكله الحقيقي إلا إذا عمدنا إلى تربية أشخاص يجسدون القدوة في حياتهم وممارساتهم العملية، وهذا يعني أنَّ الشخصانية يجب أن تبرز في المستوى الضروري لتقديم صورة عن الدين، وبذلك نضمن قبول الآخرين وإيمانهم وثباتهم.

الحلقة الخامسة

تنمية القيادة لدى الأطفال

تنمية القيادة لدى الأطفال

القيادة كما هو معروف هي ملكة ترؤس وتوجيه المجموعات، وتؤتى إما بالقوة والسطوة، وإما بالمقدرة والحكمة، والقيادة بالنسبة للطفل هي شكل من أشكال حب السيطرة والظهور، وقد تبدأ روح القيادة عند الطفل في المنزل، حيث يفرض سيطرته على إخوته، ويلقي عليهم الأوامر والتعليمات، أما بسبب أنَّه أكبرهم في حالة غياب الأب، أو لشعور في داخله بأنَّه أقدرهم، ويجب عليهم الانصياع له، أو لأنَّ والده قد كلفه بذلك.

إنَّ روح القيادة عند الطفل شيء محمود إذا لم تتجاوز حدودها بالسيطرة والعنف، فالقياديون الصغار تماماً كالقيادين الكبار، فمنهم من يسوس بحكمة العقل والشعور بالمقدرة على ذلك، ومنهم من يسوس بالقمع والقوة.

سمات القيادة لدى الصغار

١- قد يشعر الطفل بأنَّه الأقوى بنية، وعليه فإنَّه يعتقد أنَّ هذه السمة تخوله أن يسيطر على أشقائه سواء في البيت أو الملعب أو المدرسة.

٢- قد يكون الطفل متمتعاً بذكاء وحكمة وموهبة يفتقر إليها الأطفال الآخرون، وفي هذه الحالة سيقبل الأطفال قيادته لهم دونما عصيان أو رفض، ويرون فيه قدوتهم.

٣- قد يكلف الطفل بهذه المهمة سواء من والـده في المنزل أو مدرب الرياضة في الملعب، أو معلم صفه، فيجعل منه عريفاً على الطلبة، وبتكرار هذه التكليفات فإنَّها ترسخ شعور القيادة لدى هذا الطفل المكلف وتصبح صفة ملازمة له، وفيما بعد يقبل زملاؤه بها.

٤- قد تلجأ مجموعة من الأطفال إلى اختيار رفيق لهم يرون فيه قدوة، وذا مقدرة على قيادتهم، وهذه المقدرة لا تتوفر في أحد منهم، ويقول أصحاب الاختصاص في تربية الأطفال إنَّ هذه هي أفضل أنواع القيادة؛ لأنَّها منحت للطفل القائد ديمقراطياً من أقرانه.

إنَّ النزعة إلى السيطرة وحب الظهور، هي نزعة فطرية لازمت الإنسان منذ نشأة الكون، فكان هناك رؤساء القبائل وأمراء الأرض في المجتمع الزراعي، والمخاتير في المجتمع القروي، وهذه صفات مقبولة إذا كانت تعنى بشؤون المرؤوسين وتحقق أحلامهم، والطفل بطبيعة تكوينه كإنسان ليس بعيداً عن حب نزعة الرئاسة والقيادة، وهنا لا بد من ترشيد هذه النزعة وتنميتها إيجابياً، وتحبيبها إلى المرؤوسين

باعتبارها شكلاً من أشكال التنظيم والانتظام الاجتماعي بين الأطفال، ويجب على الأب أو المدرب الرياضي أو معلم الصف أن يعملوا على أن تكون هذه القيادة قهرية على الآخرين، بمعنى أن يخلقوا شعوراً من القبول لها من قبل الأطفال الآخرين، بحيث تسود روح الألفة والرضا بين الطفل القائد وأقرانه، وعلى المربين بكافة مواقعهم أن يراقبوا هذا الطفل القائد بحيث لا يتسلط على أقرانه، وأن تكون قيادته لهم مقبولة ومرضية، وأن يعمل المربون على خلق روح تقبل النقد والتوجيه لدى الطفل القيادي، ولا بأس لو قام المشرفون على الالتقاء بهذه المجموعة من الأطفال في تدريب ديمقراطي والاطلاع على رأيهم في قيادة زميلهم لهم، سواء قيادة كرة القدم في المدرسة أو اللجان التي تشكلها المدرسة ضمن النشاطات اللامنهجية، ويجب أن يعمل المربون على صقل موهبة القيادة لدى الطفل المكلف بها.

كما إنَّ القيادة عند الأطفال إذا ما روقبت ووجهت تؤتي أكلها، بحيث ينشأ هذا الطفل وينمو ويتطور حاملاً في فكره مفهوم القيادة، فالقيادة شكل من أشكال التنظيم الاجتماعي الذي لا بد منه.

والسؤال هنا هو: كيف ننمي القيادة لدى أبنائنا؟

إنَّ المعرفة البسيطة بالأمهات والآباء تبين لنا أنَّ معظمهم يطمحون

إلى تنشئة أبناء أسوياء على كافة المستويات منها الذهنية والاجتماعية والنفسية، ولكننا نجدهم في غالب الأحيان يستثمرون أوقاتهم ومجهودهم وطاقاتهم بالتركيز على تنمية الجوانب الذهنية، وتحديداً التحصيلية، ولا يكرسون وقتاً أو مجهوداً كبيراً في تنمية الطفل بشرياً، وتطوير قدراته الشخصية ليصبح شخصاً يتحلى بسمات حيوية وذات أهمية، والتي من خلالها سينجح في تحقيق النجاحات الباهرة حقاً.

ونجد أنَّ الآباء والأمهات يكونون على رضى تام إن كان الأبناء قادة وزعماء في مدارسهم وبين زملائهم وأصدقائهم، والجدير بالذكر أنَّ هذا الرضى يأتي في الغالب بسبب أنَّ سمة القيادة تجعل الأبناء بارزين، ومحط أنظار المحيطين بهم، وبالتالي فسيشكلون مصدر فخر واعتزاز للأهل.

إنَّ سمة القيادة هي إحدى السمات الهامة جداً والتي نتمنى أن يتحلى بها معظم أبنائنا خاصة في زماننا هذا، ذلك أنَّ هذه الصفة تساعد الأبناء على النجاح في كافة الأصعدة بحيث أنَّها تؤهلهم ليكونوا أصحاب شخصية قوية قادرة على اتخاذ القرارات، وتحدي العقبات التي تعترض طريقهم، وما أكثر هذه العقبات في أيامنا هذه التي تريد أن تسوق جيلاً كاملاً نحو اتجاهات محددة غالباً ما تكون منافية لشرعنا،

ومخالفة لعاداتنا وتقاليدنا الأصيلة؛ لذا فمن الضروري خاصة في هذا الزمان أن نعمل وبكل جد وجهد على إعداد جيل قائد؛ لنزرع فيه القدرة على الثبات، وامتلاك المؤهلات الضرورية للحفاظ على هويته وهوية أمته.

الحلقة السادسة

كيف ننمي في أبنائنا روح القيادة؟

كيف ننمي في أبنائنا روح القيادة؟

هناك أسئلة أساسية يجب أن نعرف الإجابة عليها لكي نؤدي مهمتنا التربوية على أتم حال:-

- ما معنى القيادة؟

- ما هي الصفات التي يجب أن يتحلى بها القائد؟

- كيف يمكننا أن ننمي فيه هذه الصفات ليصبح بذلك من القادة البارزين؟

قد يظن البعض متأثراً بنماذج سلبية من القادة بأنَّ القيادة تعني التحكم في الآخرين والتعالي عليهم، والأنانية هي إبراز الذات أو فرض الرأي والفكر، ونذكر أنَّ من كان كذلك لم يبق لهم أي ذكر حول القيادة في حين بقي ذكر وتأثير القادة الحق قائماً حتى يومنا هذا، لذا يجب أن ننصح ونؤكد أنَّ القيادة الصحيحة هي عكس التجبر والعنجهية والاستبداد، بل هي مبنية على إحترام الذات والآخرين، والثقة بالنفس، وتحمل المسؤولية، والقدرة على إدارة الأمور، والنجاح في الحياة والتأثير الإيجابي في الآخرين.

وإذا ما نظرنا وتأملنا جلياً في تلك النماذج من القادة الصالحين عبر

التأريخ والذين قادوا مجتمعاتهم أجيالاً كاملة لتأكدنا أنَّهم لم ينجحوا في ذلك لولا أنَّهم تحلوا بصفات خاصة وسمات مميزة، والجدير بالذكر أنَّ على الآباء والأمهات الذين لديهم الإدراك لأهمية تنمية القيادة عند أبنائهم، أن يعرفوا الصفات التي تتطلبها القيادة الصالحة من صاحبها، وذلك لكي يدعموها ويقووها فيهم، ومن هذه الصفات:-

١- التفوق العلمي والذكاء وسرعة البديهة والتمكن من المعرفة في كافة المجالات.

٢- الثقة بالنفس.

٣- الطموح والهمة العالية والنشاط.

٤- العطاء المتواصل والالتزام بالمسؤوليات أياً كان نوعها.

٥- قوة الشخصية والانطلاق في التعبير.

٦- القدرة على تحديد ومعرفة الأهداف، وأيضاً الحسم في القرارات.

٧- التأثير الإيجابي على من حوله.

٨- القدرة على الإقناع وإدارة مجموعة.

٩- التواضع والأمانة والصدق.

١٠- مراعاة مشاعر الآخرين ورغباتهم وعدم التعصب للرأي وللرؤية الشخصية.

١١- القدرة على الاختيار واتخاذ القرارات.

١٢- القدرة على تحمل المسؤولية.

١٣- القدرة على التعامل مع الآخرين على اختلاف شخصياتهم وآرائهم وتوجهاتهم.

إنَّ عرض هذه الصفات يقودنا إلى التساؤل المركزي والأساسي:- ماذا علينا نحن الأهل فعله لكي ننمي روح القيادة في أبنائنا؟

لكل من يهمه الأمر وللأهل الحائرين نسدي هذه النصائح والتوجيهات العملية التي قد تساعد منفردة ومجتمعة على تنمية القيادة عند الطفل، ليكبر وتزيد احتمالات تحوله إلى قائد ليس في بيته أو بين أهله وأصدقائه فحسب، بل حتى على مستوى المجتمع عامة.

أولاً:- من المهم التوقف على معنى القيادة، وما هي الصفات المطلوبة من القائد، وذلك لكي لا يضل الأهل، ويربون في بيوتهم أشخاصاً جبارين يفهمون معنى القيادة على أنَّها سيطرة، وللتحكم بها

عليهم أن يعوا السمات الحميدة التي يجب أن يتحلى بها أبناؤهم لكي يعينوهم على التحلي والتمسك بها، حبذا لو أدرك الأهل أيضاً أهمية تربية جيل قائد مؤمن ملتزم يدافع عن الحق، ويصد كل تشويه لهويته وانتماءاته خاصة في زمننا هذا؛ ليكون هدفهم خالصاً لله نقياً، وليس فقط لتنمية أبناءهم للبروز والظهور والتفاخر.

ثانياً:- على الأهل السعي والعمل الدؤوب على تعليم أبنائهم وتحبيبهم في العلم والتعلم والمعرفة، وعدم الاكتفاء بالحصول على شهادات تؤهلهم للعمل فقط، بل يجب محاولة دعم الأبناء للإرتقاء بالعلم والدرجات الأكاديمية، والانجازات العلمية والطموح الدائم للمعرفة.

ثالثاً:- على الأهل توفير حاجيات الطفل العاطفية من حب وحنان وأمن وأمان واستقرار عائلي؛ لكي يوجه بدوره طاقاته إلى التطور والارتقاء وليس إلى الانشغال في المشاكل العائلية وإشباع رغباته العاطفية غير الملباة، ونذكر في هذا السياق أهمية قضاء الوقت مع الأبناء، فنلعب ونمرح ونربي ونوجه ونتحاور ونتناقش.

رابعاً:- على الأهل أن يكونوا قدوة صالحة لأبنائهم، يتحلون بصفات حميدة كالصدق والأمانة وحب الخير ومساعدة المحتاجين

والإيثار والمسؤولية، وكلها أساسية في شخص القائد، ونحن نؤكد هنا على أهمية حث الأبناء على التحلي بهذه الصفات على أن يكون الأهل قدوة لهم في ذلك، مما يزيد من احتمالات تذويب هذه الصفات أكثر فأكثر.

خامساً:- من المهم تربية الطفل على المسؤولية منذ الصغر مع مراعاة قدراته وسنه، بحيث لا نحمله ما لا يطيق، فيتحول من مسؤول إلى لا مبال بل وأحياناً متمرد، وتبدأ المسؤولية حين نربي الطفل بأن نعلمه كيفية المحافظة على ممتلكاته وما يخصه، ومن ثم أن يكون مسؤولاً عن غرفته وصولاً إلى أن نجعله مسؤولاً عن شيء يخصه، كأن يربي نباتاً أو حيواناً، ويكون مسؤولاً عن رعايته والعناية به مما يصقل به سمة المسؤولية عنده.

سادساً:- إنَّ أهم ما في القائد كونه مستقلاً، فعلى الأهل تربية الأبناء على الاستقلال منذ الصغر، والامتناع عن حمايتهم الزائدة، كذلك فإنَّ لبنة الأساس في شخصية القائد هي الثقة بالنفس.

سابعاً:- إنَّ من أهم صفات القائد القدرة على اتخاذ القرارات خاصة الحاسمة والمصيرية منها، لذا من المهم أن نربيه كما قلنا على الاستقلال والثقة بالنفس، وأيضاً يجب أن نحثه على اتخاذ القرارات منذ

الصغر وكأننا نمرنه على هذا الأمر؛ حتى يكتسب هذه القدرة وتتثبت لديه عند الكبر، كما أنَّنا من الممكن أيضاً أن نستشير الأبناء ومنذ الصغر بأمور تخصنا أيضاً مع مراعاة العمر والحدود التي يجب أن تحفظ بين الآبـاء والأبناء، وهذه كطريقة أخرى نسهم من خلالها بتربية أبناء قادرين على اتخاذ القرار وتحمل المسؤولية.

ثامناً:- تشجيع الأبناء على الانخراط في فعاليات ونشاطات اجتماعية تساعدهم على التعرف على الآخرين، وكيفية التعامل مع أنواع مختلفة من الناس، ولكي يتعلموا مهارات الإقناع واستقطاب الآخرين بالرغم من الاختلافات القائمة فيما بينهم.

تاسعاً:- عرض النماذج القيادية للأطفال إما من خلال الحوار وأما من خلال القصص أو حتى من خلال اللقاء مع هؤلاء، والتحدث إليهم، والاستماع إلى فكرهم وإنجازاتهم وتوصياتهم، فلقاء الناجحين قد يجعلهم قياديين يركزون في نفوسهم مرضاة الله؛ لأنَّها الانطلاقة الأساس إلى تربية سليمة.

الحلقة السابعة

رؤية في مفهوم القدوة

رؤية في مفهوم القدوة

إذا كان الصراع قد احتدم بين مدرستين تبنت إحداهما القول بأصالة الفرد، والأخرى القول بأصالة المجتمع، فإنَّ الإسلام نادى بأصالتهما معاً، وهذا الصراع المرتبط بمعرفة الإنسان له تأثيراته على النظرة التي يملكها صاحب الرؤية عن دور الإنسان ومكانته في هذه الأرض وعن العوامل المكونة لهذا الإنسان.

وسنسعى إلى تقويم هذه المفاهيم لا سيما تلك التي تتحول إلى شعار تنادي به طائفة من الناس في داخل المجتمع في بناء الشخصية الإنسانية، ونعالج الخطر الذي يحدق بالإنسان المسلم جراء بعض المفاهيم الوافدة إلى مجتمعاتنا الإسلامية.

العوامل المكونة للشخصية الإنسانية

لا يمكن أن ننكر أنَّ هذه الشخصية الإنسانية «القدوة» والتي لها وجودها الحقيقي في الخارج، هي وليدة عوامل عديدة تؤدي إلى خروجها بالصورة التي هي عليها.

وهذه العوامل لا تسلب الإنسان حرية الاختيار، و لا تبرر له

فراره من المسؤولية التي ألقاها الله عز وجل عليه، وأمره بأدائها، وحدد له العقوبة أو الثواب على ما يقوم به في سبيل ذلك.

إنَّ نظرية الجبر الاجتماعي أو غير الاجتماعي هي نظرية مرفوضة ومردودة في أبحاث العقيدة الإسلامية عندما أسس الكلام الاسلامي لحرية الاختيار الإنساني مؤكداً بالأدلة والبراهين على أنَّ المحيط الاجتماعي بل وسائر العوامل المؤسسة للشخصية الإنسانية لا تصل في تأثيرها ولا في تأسيسها إلى درجة سلب الإنسان اختياره أو حريته.

البيئة المعرفية كعامل مولد للشخصية الإنسانية

من العوامل المكونة للشخصية الاجتماعية ما يطلق عليه تسمية البيئة المعرفية، ونقصد بالبيئة المعرفية هي مجموعة المفاهيم التي تحيط بهذا الإنسان والتي تتردد على الألسن المحيطة به، فيؤدي ذلك إلى ولادة نسيج معرفي يكون له تأثيره المباشر أو غير المباشر على سلوك الإنسان وعلى تصرفاته وعلى مواقفه وآرائه وعلى مختلف ما يرتبط بحياته.

وتشتد أهمية هذه البيئة المعرفية ويعظم خطرها وتأثيرها متى ارتبطت بموضوع مصيري كتلك البيئة المعرفية المرتبطة بالرؤية الكونية أي النظرة إلى الكون وإلى الحياة وإلى وجود الإنسان نفسه والغاية من

وجوده، وبالنسبة للمفاهيم ودورها في تأسيس البيئة المعرفية، فإذا كانت البيئة المعرفية هي عبارة عن مجموعة من المفاهيم المكونة لشخصية الإنسان، فإنَّ خطر هذه المفاهيم وأهميتها تظهر بملاحظة أهمية وخطر البيئة المعرفية.

وإن كان التعبير عن المفهوم يأخذ أكثر أنواع الاختصار، ولكنه يختزن في داخله كماً هائلاً من المضامين المعرفية التي تحكي عن الإطار النظري للفكر الذي تنتمي إليه، يشهد لذلك الدلالات الكثيرة التي يحويها المفهوم على بساطته في التعبير بنحو يلفت المتلقي لهذا المفهوم إلى هذه الدلالات بشعور منه أو بغير شعور.

وتكمن أهمية المفهوم بأنَّه يصبح القائد الذي تسير خلفه الناس، وتتأثر به وتخضع له، وأهمية أي قائد لأي مجتمع ما، تنبع من مدى قدرته على استخدام هذه المفاهيم في التأثير على الناس، وجعلها تسير خلفه، وتعلن الطاعة له، وهذه المفاهيم المكونة للبيئة المعرفية اعتنى بها الاجتماع الإسلامي، فسعى إلى الترويج لما يطلق عليه في المصطلح بـ «الشعائر»، ووظيفة هذه الشعائر هي فرض هذه الحالة العامة من التعلق بالبيئة المعرفية للإسلام من خلال التأثير على عقلية الإنسان الذي يعيش في مجتمع مسلم بحيث يتقولب الفرد في هذا المجتمع ضمن ما تؤدي

إليه هذه المفاهيم، والذي يشهد بوضوح على دور المفاهيم في تكوين البيئة المعرفية، ودور تبدل المفاهيم في تبدل الشخصية الإنسانية رواية فريدة في مضمونها ودلالاتها، ومشهورة على الألسن، وهي: «**قول رسول الله**ﷺ: **كيف بكم إذا فسدت نساؤكم؟ وفسق شبابكم، ولم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر؟ فقيل له: ويكون ذلك يا رسول الله؟ فقال: نعم وشرٌّ من ذلك، كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر، ونهيتم عن المعروف؟، فقيل له: يا رسول الله، ويكون ذلك؟ قال**ﷺ: **نعم وشرٌّ من ذلك، كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً**»[1].

نعم إذا تغيرت مفاهيم المعروف والمنكر، أي تبدلت البيئة المعرفية للإنسان سوف يؤدي ذلك بوضوح إلى تغير سلوكه الاجتماعي في تعامله مع الظواهر وتصرفه وموقفه اتجاهها، وهو ما تشير إليه الرواية بوضوح.

كيف تبنى المفاهيم؟

لو أردنا أن نسبر غور المفاهيم الموجودة في مجتمع ما فإنَّنا نجد أنَّ هذه المفاهيم على نوعين:-

(١) الكافي: ٥/ ٨٩، بحار الأنوار: ٩٧/ ٩١.

١- المفاهيم الوليدة:-

وهي عبارة عن المفاهيم التي تنشأ نتيجة المعرفة التي يملكها الإنسان، فإن تبني الإنسان للإسلام كدين سوف يفرض على الإنسان المسلم التعامل مع مجموعة من المفاهيم التي هي وليدة تلك العقيدة التي يحملها، وخصوصية هذه المفاهيم هي أنَّها وليدة للاعتقاد الذي يحمله هذا الإنسان.

٢- المفاهيم المستولدة:-

وهي عبارة عن المفاهيم التي لا تنشأ من اعتقاد مسبق، وإنَّما هي مفاهيم تستولدها جماعات من الناس عن قصد، ويراد منه أن تؤثر على فكر الإنسان لتقوم بعملية تغيير فيه بنحو يؤدي إلى تغيير سلوكه أو موقفه أو طريقة تعامله مع أي ظاهرة من الظواهر، فهذه المفاهيم تسبق الفكرة في ذهن الإنسان، وهي في الغالب تكون مفاهيم مصممة عن سبق تصور للهدف الذي ترمي إليه من قبل صناعها.

٣- المفاهيم القدوة:-

اذا كانت المفاهيم المستولدة ذات تأثير على شخصية الإنسان، فإنَّ هذه المفاهيم سوف تلعب دور القدوة في تحريك الإنسان ودفعه

باتجاه محدد، فليس كل مفهوم يتحول ليشكل قدوة للسلوك الإنساني والاجتماعي، ولكن من المفاهيم ما يصبح شعاراً يتم التداول به في المحيط الاجتماعي، ويراد له أن يكون قدوة يستحضره الإنسان في كل سلوك يقوم به أو موقف يسعى لاتخاذه.

لذلك علينا أن نختار من المفاهيم ما يصب في مصلحتنا، وما ينطبق مع مفاهيم ديننا الحنيف.

الحلقة الثامنة

ضرورة القدوة

ضرورة القدوة

نحن في زمن يعيش فيه شبابنا وشاباتنا في مأزق كبير وحيرة أكبر، أو ربما هو شعور بالعجز والضعف، زمن يجعلنا في حيرة، هذه الحيرة تكون في تحديد الأولويات أو حتى المهمات، أو في تحديد مطالب الحاضر وكيفية التعامل معها، ناهيك عن النظرة إلى المستقبل، وهل بالإمكان الوصول إليه في ظل هذا الواقع المعاش؟

يا لها من تجربة نخوض غمارها في الحياة، ونحاول الخلاص؛ كي لا نمعن في الغرق، وكي لا يبقى الموت يحمل سكينه ويتهدد الأحياء، نفتش عن مفردات الحياة وعناصر البقاء، وربما يتطلب الأمر معجزة من السماء أو مخلصاً يعيد تركيب الأشياء، أو أنموذجاً ولو في الهواء، حلماً نعيشه ولو في العراء، من هنا نبحث عن الحل والخلاص، عن نور في حلكة الظلام، نريد أن نصل إليه ولو بعد عناء.

وهناك غريزة فطرية، وطبيعة بشرية ملحة في كيان الإنسان، تدفعه نحو التقليد والمحاكاة، وخاصة الأطفال، فهم أكثر تأثراً؛ لأنَّهم يعتقدون أنَّ كل ما يفعله الكبار صحيحاً، فإنَّ الطفل يبدأ في سن الثالثة يدرك بوضوح أكثر أنَّه من الذكور، وأنَّه سيصبح يوماً ما رجلاً كأبيه،

وهذا ما يحمله على الشعور بإعجاب خاص بأبيه وبغيره، فالإنسان لا يستطيع أن يبدأ من الصفر، بل لا بد من الإستفادة ممن سبقوه في الحياة، وكانت لهم تجارب وخبرات يتوسم من عرفها طموحه، ويلبي حاجاته ومن ثم ينطلق.

إذن، هي الحاجة التي تدفع بالإنسان العاقل لأن يتخذ إنموذجاً ومثالاً كاملاً وراقياً وواقعياً في آن واحد، يعجب به إما في حياته كلها أو في جزء منها، كأن تجد في الحياة من يمكن أن يقتدى به في إنجاز معين أو تطور ما، أو خبرة محددة، أو صفة من الصفات المحببة، كإن يقال مثلاً: «فلان قدوة في البذل والتضحية»، ولكنه لا يتصف بالعلم مثلاً، ويقال: «إنَّ فلاناً قدوة في طلب العلم»، دون الشجاعة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما يقال: «إنَّ هذه السيدة قدوة في الأدب واللباقة»، ولكنها ليست على قدر من العلم أما الموفق فهو من ضرب من كل خير بسهم، فيكون له باع في كل فضيلة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، فالحياة بالنسبة للإنسان تجربة جديدة، لأنَّه يأتي إليها لسفرة واحدة فقط، غير قابلة للتكرار، ويواجهها دون سابق خبرة أو معرفة، لذا فإنَّ الفشل في تجربة الحياة لا يمكن تداركه أو تعويضه، وكما يقول

سبحانه وتعالى في القرآن الكريم: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾[1].

ولكن كيف ينجح الإنسان في تجربته الواحدة والوحيدة في هذه الحياة، وهو يواجهها كمتاهة واسعة، مزروعة بالألغام، مليئة بالشهوات والمغريات تتشعب فيها الطرق وتتعدد الخيارات؟

إنَّه بأمس الحاجة إلى خريطة واضحة المعالم، تدله على طريق النجاة، وتنبهه على مناطق الخطر، هذه الخريطة تتمثل بذلك المخلص من المتاهة، أو ذاك النور المضيء وسط الظلام، أو ما نسميه بعبارة أخرى المرشد والدليل الذي نتتبع خطواته بدقة وحذر داخل حقل ألغام ومتفجرات.

إنَّها القدوة، فهي سبيلنا للوصول إلى الأمن والطمأنينة، فهي التي تشعرنا بالثقة، وتحثنا نحو الخير، وتدفعنا لتجنب العقبات ومحاولة الخروج من متاهات تعترض طريقنا وتخرب حياتنا، هذه القدوة التي نختارها بملء إرادتنا لا بانصياع أعمى، وقد يختلف بعضنا عن الآخر في اختياره القدوة، وذلك حسب ميوله، فمنا من يجعل اللاعب الرياضي الفلاني قدوته؛ لأنَّ اهتمامه بالرياضة، ومنا من يختار الشخص الكذائي قدوته؛ لأنَّ اهتمامه لحبه له، ومنا القليل من يعش دون قدوة.

(١) الزمر: ١٥.

نحن بشر، والبشر بحاجة إلى الرقي والتقدم، ليس إلى قيم مجردة، أو صور صامتة، أو حكايات خيالية، أو نصوص شعرية، أو حتى أغاني ثورية، بل نحن بأمس الحاجة إلى نماذج حية من البشر، يصح الاستنارة بهديها.

نحن البشر بحاجة إلى بشر مثلنا، يجسدون القيم ويثبتون أنَّها قيم ملموسة وفي متناول الجميع، أما إذا لم يعشها بشر مثلنا، فإنَّها تبقى مفاهيم مبهمة غامضة، وتبدو نظريات غير واقعية، وهذا لا يعني إلغاء أو مصادرة لرأينا وإرادتنا، أو ممارسة لضغط ما علينا، بل يجب أن يصاحب هذا التتبع والاهتداء قناعة وتصميم ووعي وإرادة وعزم، وإذا كان تعريف القدوة اتباع شخصية تحدث انبهاراً وتترك آثاراً لتجذبك نحوها بأفعالها، وجمال أقوالها، وحسن سيرها وسلوكها، فاتخذ من رسول اللهﷺ قدوة لك، كما قال تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾[1].

هذا النبي الأمي الذي قرأ ونطق بما لم ينطق به أحد، وجاء بما لم يستطع أحد أن يأت به لو اجتمعت الجن والإنس أو كان بعضهم لبعض ظهيراً، هذا النبي القائل: «**إنِّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله**

(١) الأحزاب: ٢١.

وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً»[1].

نعم، لقد تمسكوا بهما وساروا في الأرض وتفكروا في خلق الله، وعرفوا سبل الصراط، كيف لا، وهم يقدمون لنا أغلى ما عندهم في سبيل إحقاق الحق وإزهاق الباطل.

أفلا يجدر بنا أن نتخذ من هؤلاء الأطهار الكرام البررة قدوة لنا في مسيرة حياتنا؟ بل نتشرف بهذا الاقتداء، فهم أنوار الله في الأرض، وبنورهم نقتدي ونهتدي، وبوجود تلك الأنوار الزاهرة لا حاجة لنا بأن نقتدي بسواهم، والاقتداء بهم يكون باتباع كل ما أمروا به وترك كل ما نهوا عنه، والالتزام بمسلكهم الوضاء.

فما خاب من لجأ إليهم، ولا من تمسك بهم واتخذ منهم نهجاً له في حياته؛ ليكون ذلك فوزاً له في آخرته.

---

(١) بحار الأنوار: ١٦/ ٣٣٧، القاموس المحيط: ٣/ ٩٣.

الحلقة التاسعة

ما تأثيرغياب القدوة على الشباب؟

ما تأثير غياب القدوة على الشباب؟

إنَّ الإنسان مفطور على حب التقليد، فإذا لم يجد القدوة الحسنة سيقلد القدوة السيئة كنتيجة طبيعية، ويعد التوحد مع الشخصيات أحد أهم مظاهر النمو الاجتماعي لدى الشباب، خصوصاً في سن المراهقة؛ لكونهم لا يحبذون الشعور بالاختلاف عمن حولهم من جماعات الرفاق في المدرسة والشارع والمسجد وغيرها من مؤسسات التنشئة الاجتماعية المختلفة سواء في ملبسهم أو في مأكلهم أو مشربهم، أو حتى في مفردات كلامهم، وطريقة مشيتهم ونحو ذلك؛ ولهذا يعد غياب القدوة الحسنة سبباً لضياع طاقات الشباب وعنفوانه، وتبديد الخير الذي فيه بالشر الذي في المجتمع حوله، من خلال ما يرى ويسمع ويقرأ، في زمن أصبح سكان الكرة الأرضية فيه وكأنَّهم جميعاً يعيشون في قرية صغيرة واحدة.

والطاقات في الإنسان أربع: طاقة العقل، وطاقة الجسد، وطاقة العاطفة، وطاقة الروح، وحين تهدر مثل هذه الطاقات والتي تكون في سن الشباب في قمة فورتها وثورتها وفتوتها، سينشأ لدينا جيل هش من الشباب، أكثر عرضة للمشكلات النفسية والاجتماعية، وأقرب إلى الانحرافات السلوكية والفكرية المتطرفة من غيره، وهذه خسارة فادحة ليست للبيت والمدرسة والحي فحسب، بل للأمة بأسرها؛ لكون

الشباب هم عماد الأمة ومصدر قوتها ورمز حضارتها.

ما الفرق بين الشباب الذين يقتدون بقدوة حسنة، والشباب الذين لا قدوة لهم؟

لنتفق على أنَّ القدوة موجودة أصلاً، ولكن هناك قدوة حسنة وقدوة سيئة؛ ولهذا خص الله تعالى نبيه محمدﷺ وخليله إبراهيمعليه السلام بوصفهم لنا بالقدوة الحسنة؛ قال تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا**﴾[1]، وقال: ﴿**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ**﴾[2]، وما دام الطموح عالياً لدى الشاب، فعليه أن يتخير الأرفع والأسمى من بين القدوات الحسنة التي يجدها أمامه، والفرق شاسع وكبير بين من يجعل الحبيب المصطفى محمدﷺ قدوة له، ومن يجعل شباب الغرب قدوة له، كالفرق بين شباب أهل البيتعليهم السلام الذين اقتدوا برسول اللهﷺ والذين قال تعالى فيهم: ﴿**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ**

(١) الأحزاب: ٢١.

(٢) الممتحنة: ٤.

﴿فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[1]، وبين الشباب من قوم فرعون الذين اتبعوه: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾[2]، لقد أنار أهل البيت عليهم السلام أرجاء الأرض علماً وخلقاً، ففتحوا الفتوحات، وعلوا فوق الهامات، أما من اقتدى بفرعون، فقد عوقبوا في الدنيا، وكانوا سبباً في اندثار حضارتهم، أعظم حضارات الأرض يومئذ؛ قال تعالى: ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ۞ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾[3].

كيف يمكن أن يعاد للقدوة مفهومها الصحيح؟

مسألة القدوة محسومة إسلامياً في نموذج واحد صالح للصغار والكبار، للذكور والإناث، للعرب والغرب، ممثلة في شخص النبي

(١) الفتح: ٢٩.
(٢) الزخرف: ٥٤.
(٣) الأعراف: ١٣٦ - ١٣٧.

المصطفى ﷺ، قدوة الخلق أجمعين.

كما أنَّ لنا في الأنبياء الكرام عليهم السلام قدوة حسنة؛ قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿**وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۞ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۞ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ۞ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾[1]، أجل: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ**﴾[2]، ولنا في أهل البيت عليهم السلام والعلماء والصالحين ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين أسوة حسنة أيضاً:

فتشبَّهوا إن لم تكونوا مثلهم
إنَّ التشبُّه بالكرامِ فلاحُ

وإذا أردنا أن نعطي الشباب قدوة حسنة، فيجب أن نبدأ بإصلاح القدوات أولاً، وإصلاح النفس يبدأ بدعوة، لو دعا بها كل شخص لانتفع بها، وانتفع بها غيره، قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا**

(١) الأنعام: ٨٣ - ٨٦.
(٢) الأنعام: ٩٠.

﴿مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[١].

وهذه الآية تعني أن ندعو ربنا بأن يوصلنا إلى هذه الدرجة العالية، درجة الصديقين والكُمَّل من عباد الله الصالحين، وهي درجة الإمامة في الدين، وأن يكونوا قدوة للمتقين في أقوالهم وأفعالهم، يقتدى بأفعالهم، ويطمئن لأقوالهم، ويسير أهل الخير خلفهم فيهدون ويهتدون.

وتأتي درجة الإمامة باتباع هدي النبي محمدﷺ الذي علمنا الاستقامة الداخلية والخارجية، حتى يتطابق لدينا القول مع الفعل، والظاهر مع الباطن، وعلى من وضع نفسه قدوة للناس أن يضع في حسبانه أنَّ له من الأجر مثل أجور من اتبعه، ومن الإثم مثل آثام من اتبعه؛ قال رسول اللهﷺ: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه، لا ينقص من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من يتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً**»[٢].

أما الشباب، فعليهم أن يتخيروا قدواتهم من خلال عاملين مهمين في اختيار القدوة هما:-

١- النظرة التحليلية المحايدة، وعدم تجميد نعمة العقل التي أنعم

(١) الفرقان: ٧٤.

(٢) شرح أصول الكافي: ٣/ ٨٦.

الله بها علينا؛ لنفرق بين الحق والباطل، فقد عاتب الله الذين أشركوا به على تقليدهم الأعمى لآبائهم قائلاً في محكم كتابه: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ**﴾[1].

٢- حسن اختيار من نحب، فأكثر ما يوقعنا في اختيار القدوة هو محبتنا لهم، قال رسول الله ﷺ: «**المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**»[2].

(١) البقرة: ١٧٠.

(٢) بحار الأنوار: ٧١/ ١٩٢، ميزان الحكمة: ٥/ ١٨٦.

الحلقة العاشرة

كيف تؤثر التربية في القدوة؟

كيف تؤثر التربية في القدوة؟

الجواب على هذا السؤال يكمن في النقاط الأتية:-

١- لا تتحدثي كثيراً عن شخصيتك:-

لا تتحدثي عن تأريخك أو عملك أو نشاطك بصورة متكررة.

٢- علو الهمة والمبادرة والمبادأة:-

الهمة هي الباعث على الفعل، وتوصف بعلو أو سفول، فمن الناس من تكون همته عالية إلى السماء، ومنهم من تكون قاصرة تهبط به إلى أسوأ الدركات، وعلو الهمات يعني أن لا تقف النفس دون الله، ولا تعوض عنه بشيء سواه، ولا ترضى بغيره بدلاً منه، ولا تبيع حظها من الله وقربه والأنس به والفرح والسرور والابتهاج به بشيء من الحظوظ الفانية، فالهمة العالية على الهمم كالطائر العالي على الطيور لا يرضى بمساقطهم ولا تصل إليه الآفات التي تصل إليهم، فإنَّ الهمة كلما علت بعدت عن وصول الآفات إليها، وكلما نزلت قصدتها الآفات من كل مكان، يقول الشاعر:

لـه همـمٌ لا منتهى لكبارها
وهمَّته الصغرى أجلُّ من الدهرِ

وقد قال أحد الصالحين: «**من علت همَّته علت رتبته، همَّتك فاحفظها، فإنَّ الهمة مقدمة الأشياء، فمن صلحت له همته وصدق فيها صلح له ما وراء ذلك من الأعمال**»، فالقدوة الذي يؤثر في الآخرين هو من تعبر كلماته عن حاله وهمته مثل:-

- سوف أحقق ما أريد.
- الحياة سهلة وأنا متفائل.
- الصعود إلى القمة سهل وممتع.
- العمل متعتي.
- حققت التوازن بين جوانب حياتي.

فلماذا لا نبدأ؟ ونحقق دائماً المبادرة؟ فهي التي تزرع في الأتباع الاستقلالية، ولا ينتظرون ما يمليه عليهم الآخرون، وهي التي تربي الأتباع على التميز وعدم تقليد الآخرين، فالقدوة بالمبادأة يعالج الكثير من أمراض الأتباع مثل: الخوف من نتائج العمل، والسلبية في الحياة، والاستسلام للعقبات، ولكي يربي القدوة المبادأة والمبادرة في نفوس أتباعه، ننصحه باتباع الآتي:-

١- ترك فترة من الوقت اليومي للتنفس والتنفيس بما يتوافق مع

الشرع.

٢- ترك الزجر المنفر؛ لأنَّه يزرع الخوف ويغرس الجبن والتردد.

٣- الأخذ بمبدأ الاستشارة، وإنَّ المحاولات مهما تكررت، والأخطاء مهما كثرت لا يقلل ذلك من شخصية التابع.

٤- العمل المتواصل في التوجيه والإرشاد بالحسنى، وهذا له مفعول سحري لدى الأتباع.

٥- نشر ثقافة المبادأة والمبادرة؛ لأنَّها ثقافة العقل والإنتاج والإيجابية والتخطيط للمستقبل.

وكل ذلك يحتاج من القدوة إلى لباقة وفراسة وعلم ومرونة ونية، بلا تصنع أو تكلف أو جفاف.

٣- محاسبة النفس وتقويم السلوك:-

قد يحسب الكثير أنَّ القدوة ليس بحاجة إلى محاسبة نفسه أو تقويم سلوكه، زاعماً أنَّه قد تخطى هذه المراحل، ولكن إذا علم العقلاء أنَّ من التأثير البالغ في التربية بالقدوة، أن ينتبه القدوة إلى نفسه الانتباه المتواصل، وأن يغير من سلوكه دائماً نحو الأفضل، لأيقنوا بأنَّ هذه المقولة لا وجود لها في عالم التربية المؤثرة؛ لأنَّ محاسبة النفس هو طريق

استقامتها، وكمالها، وفلاحها وسعادتها، يقول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿**وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ**﴾ يعني حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسَبوا، وانظروا ماذا ادخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم؟

وقال تعالى: ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**﴾[2].

وهذه الآية الكريمة تعني أنَّ النفس بأمس الحاجة للقدوة؟ وقد أفلح من زكى نفسه فأصلحها وحملها على طاعة الله عز وجل، وقد خاب من أهلكها وأضلها وحملها على المعصية.

كما إنَّ القدوة قوَّام في الأصل على نفسه أولاً، لا يعجز بالأماني، فيضيع من يقتدي به، ويزن نفسه في كل لحظاته؛ ليربي تابعيه على محاسبة أنفسهم قبل يوم الحساب، وعلى الاتزان للعرض الأكبر يوم الميزان، وكلما استعد القدوة ليخفف حسابه كمسؤول عن تابعيه، علمهم هذا الفهم الدقيق في دنياهم قبل مشقة يوم الحساب.

---

(١) الحشر: ١٨.

(٢) الشمس: ٧ - ١٠.

خطوات عملية من أفواه القدوات التربوية

إنَّ محاسبة النفس نوعان:-

١- المحاسبة قبل العمل:- وهي أن يقف عند أول همه، ولا يبادر بالعمل حتى يتبين له رجحان العمل به على تركه.

٢- المحاسبة بعد العمل:-

إنَّ محاسبة النفس بعد العمل تقسم إلى أربعة أقسام:-

الأول: محاسبتها على طاعة قصَّرت فيها من حق الله تعالى، فلم توقعها على الوجه الذي ينبغي، ثم يحاسب الشخص نفسه هل قام بطاعة الله على وجه يرضي الله تعالى أم قصر بذلك؟

الثاني: أن يحاسب نفسه على كل عمل كان تركه خيراً من فعله.

الثالث: أن يحاسب نفسه على أمر مباح، لم فعله؟ وهل أراد به وجه الله والدار الآخرة فيكون رابحاً؟ أم أراد به الدنيا فيخسر ذلك الربح؟

الرابع: تكرار الفعل الحسن حتى يكون ذلك طبعاً وسجية.

لقد قيل: «إنَّ السلوك هو تعبير عن الداخل والذات، وليس عن ظروف خارجية»، وربما يكون في هذا المعنى سر حياة قدوتنا المؤثرة،

وعنوان نجاحنا في جعل تصرفاتنا وسلوكياتنا نابعة من قيمنا وأخلاقنا وديننا، فمهما كانت الظروف والضغوط والانفعالات، فإنَّها لا تؤثر على الثوابت الداخلية من العفو والتسامح والتغافر والحب والخدمة وبذلك يصبح القدوة هو المسيطر على الحياة، حينما يصل الأمر إلى قولنا: هو هكذا، طبعه هكذا، سجيته هكذا، وهل التكرار لهذه المبادئ هو الطريق إلى أن يكون طبعاً وسجية؟

نعم... فالاعتياد والألفة للفعل الحسن لن يتحقق إلا بالتكرار والدوام وإن قل، وهذا أحب الأعمال السلوكية إلى الله كما أخبرنا ﷺ: «**أحبُّ الأعمال إلى الله أدومها وإن قلَّ**»[1].

(١) كلمات الرسول ﷺ: ١/ ٢٤٢.

الحلقة الحادية عشر

الخطوات العملية لجعل السلوك الحسن سجية

الخطوات العملية لجعل السلوك الحسن سجية

١- المبادئ الثابتة هي التي تولد سلوكاً واضحاً، وفعلاً دائماً والمبادئ الثابتة تنطلق من داخلنا، وهي التي تتحول لدى كل قدوة إلى رسالة يعيش من أجلها، ويبذل كل شيء في سبيلها، بل ويصنع حياته التي يريدها، فهذه «سمية» أول شهيدة في الإسلام حققت ذلك، فزالت حيرة المتعجبين من ثباتها وهي تستقبل الموت، وقد ضرب الله المثل في القرآن الكريم للمؤمنين والمؤمنات بنساء ثابتات على مبادئهن، ليكون الدرس للرجال بليغاً، يقول تعالى: ﴿**وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ**﴾[1]، ويقول تعالى: ﴿**وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا**﴾[2]، فما الذي يمنع القدوة من هذا الاعتياد، وهذه السجية التي يعرف بها؟ والتي هي طريق التربية المؤثرة في تابعيه، حيث يبادر بحل المشكلات لا تراكمها، وبالنصح والتوجيه وتصحيح المسار لا باللامبالاة، وبالإقدام الذاتي في تقويم السلوكيات السيئة لا بالهروب أو الإهمال.

٢- احذري الاستجابة لانفعالاتك، فهي تقف حجر عثرة في

(١) التحريم: ١١.

(٢) التحريم: ١٢.

طريقك، مثل: «أنا عصبية، أنا أعاني من ضغوطات كثيرة»، وهذه أيضاً بالتكرار تصير واقعاً ملموساً، وهي في حقيقتها مجرد أوهام من صنع القدوة، يجب عليه أن يتخلص منها، وإلا سرت هذه الروح في العمل، ثم في أتباعه، وللخروج من هذا المأزق إن وجد، لا بدَّ من ترتيب النفس؛ لأنَّ قمة الفشل أن ترتبي الحياة من حولك، وتتركي الفوضى بداخلك، هذا الترتيب الذي يجعلك تعيشين مع أقدار الله، وترضي بقضائه، ومن ثم هو المحرك الذي يجعلك تقولي كلمة «أنا» المحمودة في مواطن العطاء والعمل والجهاد.

٣- لا تكوني رد فعل في هذه الحياة، بل طوري وأبدعي وحسِّني وأبدأي وخططي، وكوني أنتِ المبادرة في لعبة الحياة، اصنعي يومك وحياتك وبرنامجك، واستقبلي حوادث الحياة بتوجيهها نحو هدفك، فإن كانت ثقيلة فصوِّبي من موقع آخر، فقديماً قالوا في الحكمة: «**من لا يحدد له اختياراً فقد أختير له**»، ومن أعظم ما يجنيه القدوة أن تكون الاحتمالات أمامه متعددة عندما يقرر أن تكون فعلاً لا رد فعل، وبذلك يغرس في متابعيه روح الإبداع والتطوير وصناعة الحياة؛ لأنَّ سنة الله في كونه أنَّه لا يحدث شيئاً إلا بمسبب، ونسبة عالية من هذه المسببات في يد الإنسان، فكل ما يتم مواجهته في الحياة سببها فعل ابتدائي، فإن

كان تهاوناً وكسلاً، فماذا يجني غير الشر؟ يقول تعالى: ﴿**وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا**﴾[١]، أي كان بوسعكم صناعة الخير وفعله فلماذا تكاسلتم؟

٤- لا تأمري بشيء إلا وقد فعلته أولاً، وصدق في ذلك قول الشاعر:

وغير تقي يأمر الناس بالتقى

طبيب يداوي الناس وهو عليل

وليس معنى ذلك أن لا يقوم القدوة بأداء دوره في النصح والتوجيه حتى يفعل؛ ولذلك كان ذم الله تعالى لبني إسرائيل ليس على أمرهم مع تركهم له، بل الذم على الترك وحده وليس على الأمر، حيث كانوا يأمرون بالخير ولا يفعلونه، فإنَّ الأمر بالمعروف مطلوب من الجميع «الذي يعمل به والمقصر»، هكذا قال العلماء، واستدلوا بالآية المباركة: ﴿**كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ**﴾[٢] بعد قوله تعالى: ﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾[٣].

---

(١) المزمل: ٢٠.

(٢) المائدة: ٧٩.

(٣) البقرة: ٤٤.

فهل القدوة المؤثرة لا يحتاج إلى الاقتداء؟ وهل من العيب على القدوة أن يتتلمذ ويقتدي بغيره؟ وفي قوله تعالى: ﴿**وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا**﴾[١] يعني أنَّ الاقتداء إذا كان غريزة بشرية مغروسة في نفس كل إنسان، كرغبة في الاقتداء، واستعداد للتقليد، مرتبط بهدف، فإنَّه ألزم لرغبة قدوتنا الدائمة في التقديم والتطوير والتجديد، ولأنَّه يتجه إلى أسمى هدف، وهو ما أطلق الله عليه في كتابه «البصيرة بالدعوة» حيث قال تعالى: ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي**﴾[٢]، فكل مسلم على الأقل داعية بالقدوة في أسرته، وفي عمله، ومع الناس، فالمؤمنون قدوات بعضهم لبعض، يقول تعالى: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**﴾[٣]، وفي تفسير قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا**﴾[٤]، من استطاع منكم أن يكون إماماً لأهله، إماماً لحيِّه، إماماً لمن وراء ذلك، فإنَّه ليس شيء يؤخذ عنك، إلا كان لك منه نصيب.

وليست القدوة في مجال واحد، حتى نقول من حقه ألا يقتدي بغيره، ولكن مجالات الحياة كثيرة، في الإدارة والاقتصاد والسياسة

(١) الفرقان: ٧٤.
(٢) يوسف: ١٠٨.
(٣) التوبة: ٧١.
(٤) الأنبياء: ٧٣.

والعلم الشرعي والتنمية والإعلام وعلوم الطب والهندسة والكيمياء وسائر شؤون الحياة، فقد نقتدي بقدوة في علم من العلوم، ولا يعني ذلك الاقتداء به في أخلاقه، أو العكس.

الحلقة الثانية عشر

فاطمة الزهراء عليها السلام وحاجتنا للقدوة

فاطمة الزهراء عليها السلام وحاجتنا للقدوة

إنَّ القدوة يمكن أن تكون أنثى، كما يمكن أن تكون ذكراً، فلنطل على حياة سيدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام والتي هي من أهل البيت عليهم السلام الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، ونلتقي بها في مرحلة يضج العالم فيها بقضية المرأة لنتساءل ما هو دور المرأة في الحياة؟ هل هي إنسان من الدرجة الثانية؟ أو هي إنسان تماماً كما هو الرجل إنسان؟ هل لها الحق في أن تخوض الصراع الاجتماعي والصراع السياسي؟ وأن تدخل في معركة الحياة لتتحدى أو لتواجه التحدي؟ أو أنَّها معزولة عن أي نشاط اجتماعي؛ لأنَّ البيت هو مملكتها وليس لها أن تخرج من هذه المملكة؟ ما هو حقها في العمل؟ هل أنَّ أجرها أقل من أجر الرجل عندما تعمل أو لا فرق بين عملها وعمله؟

ما الموقف من مسألة العنف الذي يمارسه الرجل ضد المرأة، فيلغي لها إرادتها وشخصيتها؟ أو العنف في البيت الزوجي الذي يتحول فيه الزوج إلى سيد للمرأة لا تملك معه أي خيار في أن تريد أو لا تريد؟

هذه أمور بدأت تهز العالم، وقد لا يكفي أن نرجم كل هؤلاء بأحجارنا؛ أحجار الكلمات الشاتمة أو المكفرة؛ لأنَّ ذلك لن يحل

المشكلة، بل نخشى أن نكون كالنعامة التي تدفن رأسها في الرمال، وإذا أردنا أن نكون واعين وأن نكون رساليين في مستوى الرسالة، ونحمل رسالة الإسلام من أجل أن نطلقها للعالم كله، علينا أن ندخل المعركة بسلاح العقل والمنطق، ونجعل ثقافتنا تتحرك في ساحات المعركة؛ لأنَّ المعركة ليست معركة بندقية أو مدفع، ولكنها معركة فكر، فإذا لم نتسلح لها بالعلم والفكر والوعي لكل قضايا العصر، فلن نستطيع أن نخدش شيئاً في جدار العصر فضلاً عن أن ننسفه.

من هنا أصبحت حاجتنا إلى الزهراء عليها السلام هي حاجتنا إلى القدوة والمثل الأعلى والنموذج، حاجتنا إليها عليها السلام حاجتنا إلى الشخصية التي جمعت كل العناصر الحية التي تتوازن وتتكامل فيها الشخصية.

الزهراء عليها السلام مظهر الفضائل ورمز الطهارة

إنَّ فاطمة الزهراء عليها السلام هي مظهر حي لفضائل أهل البيت عليهم السلام في كل كلماتها وأعمالها، في زهدها وعبادتها، في أخلاقها ومشاعرها، في إيمانها وتقواها.

فاطمة الزهراء عليها السلام هي الإسم الذي عندما نذكره أو نتذكره فإنَّه لا يوحي لنا إلا بالطهارة كأصفى ما تكون الطهارة، وبالنقاء كأعذب

ما يكون النقاء، وبالإنسانية التي تعطي الإنسان قيمته، وبالعصمة التي تتمثلها فكراً في فكرها، وخلقاً في أخلاقها، وسلوكاً في كل حياتها، وشجاعة في الموقف مع الحق، شجاعة رسالية لا شجاعة انفعالية، كانت وقفاتها من أجل الحق، وكان حزنها حزن القضية، وفرحها فرح الرسالة، ومثلت عمق الإسلام في عمق شخصيتها، واختزنت في داخلها كل الفضائل الإنسانية الإسلامية، باعتبار أنَّ كونها سيدة نساء العالمين يفرض أن تكون في المستوى الأعلى من حيث القيمة الروحية والأخلاقية.

سر الاهتمام بالزهراء عليها السلام

نحن نهتم بالزهراء عليها السلام؛ لأنَّنا عندما نذكر قضية الرسالة ودور الزهراء عليها السلام فيها، ونذكر حركة الإسلام في القضايا المتحركة التي كانت الزهراء عليها السلام عنصراً حيوياً فيها، إنَّنا نذكرها في ذلك كله، وبذلك نشعر أنَّها معنا في كل قضايانا، وأنَّها حية تعيش بيننا، فإنَّ أشخاصاً في التأريخ ينتهون عندما يموتون؛ لأنَّ حياتهم تختصر في مدى عمرهم، وهناك أشخاص يبقون في الحياة ما دامت الحياة، ليبقوا ما بقيت رسالتهم وبقي أناس ينفتحون على رسالتهم، وفاطمة الزهراء عليها السلام

تقع في قمة هؤلاء الأشخاص، ذلك لأنَّنا لا نستطيع أن نذكر رسول الله ﷺ إلا ونذكرها؛ لأنَّها صنيعته وروحه التي بين جنبيه، ولا نستطيع أن نذكر علياً عليه السلام إلا ونذكرها؛ لأنَّها شريكته في الحياة والمعاناة، ولا نستطيع أن نذكر الحسن والحسين وزينب عليهم السلام إلا ونذكرها؛ لأنَّها سر الطهر في طفولتهم وشخصيتهم على مدى الحياة.

هذا هو سر فاطمة الزهراء عليها السلام الذي يفرض علينا أن نبقيها في عقولنا وقلوبنا رسالة وفكراً لا دمعة فحسب، فإنَّنا وإن كنا لا نملك إلا أن ننفتح عليها برسالتها؛ لأنَّها عاشت كل دموعها وكل حياتها للرسالة، ولم تعشها لنفسها طرفة عين، وهذا هو سر كل أهل البيت عليهم السلام، أنَّهم عاشوا الإسلام كله، وقدموا حياتهم فداءً للإسلام والرسالة، ومن هنا فإنَّنا وبكل فخر واعتزاز نقدم الزهراء عليها السلام، إلى المسلمين جميعاً، كنموذج حي، ومثل أعلى جسدت الرسالة الإسلامية أسمى تجسيد، وعاشت في شخصيتها شخصية رسول الله ﷺ بعناصرها المميزة والملهمة والمسددة.

الفهرس

الحلقة الأولى:

دور القدوة في حياتنا ٥

الحلقة الثانية:

القدوة الناعمة ١٣

الحلقة الثالثة:

أهمية القدوة ١٨

الحلقة الرابعة:

أركان القدوة ٢٣

الحلقة الخامسة:

تنمية القيادة لدى الأطفال ٢٨

الحلقة السادسة:

كيف ننمي في أبنائنا روح القيادة؟ ٣٤

الحلقة السابعة:

رؤية في مفهوم القدوة ٤١

الحلقة الثامنة:

ضرورة القدوة ٤٨

الحلقة التاسعة:

ما تأثير غياب القدوة على الشباب؟ ٥٤

الحلقة العاشرة:

كيف تؤثر التربية في القدوة؟ ٦١

الحلقة الحادية عشر:

الخطوات العملية لجعل السلوك الحسن سجية ٦٨

الحلقة الثانية عشر:

فاطمة الزهراء عليها السلام وحاجتنا للقدوة ٧٤